

المرحلة الرابعة / النقد الأدبي الحديث/ الدراسات الصباحية

المحاضرة (6) الأسلوبية النشأة والتعريف

النشأة التاريخية :

الاسلوب عند العرب :

على الرغم من ورود لفظ (الاسلوب)، عند العلماء العرب، باعتباره مصطلحا دالاً على ما يقترب عموماً من الفهم الحديث، فإن حدود الاستعمال الاصطلاحي لم تفارق مدلول الطريقة المميزة في النظم والصياغة البليغة لكلام مميزاً من كلام آخر، واتصال الاستعمال الاصطلاحي بالنظم لديهم متأب من الدلالة المعجمية للأسلوب بمعنى: (السطر من النخيل)، وقد مر ذكره في التراث بما يقارب معناه الاصطلاحي على نحو عام لدى أكثر من عالم ولاسيما في الحديث عن الإعجاز القرآني، فقد ذكره الخطابي بقوله: "نوع من الموازنة وهو أن يجري أحد الشعارين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته"، ويذكره الباقلائي في تناوله الإعجاز فيقول: "وقد بينا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ومزيته عليها في النظم والترتيب".

نشأة الاسلوبية (علم الاسلوب) عالمياً :

مر ذكر الاسلوب في الادبيات الغربية مقترناً بمناهج واتجاهات من استعمله، للدلالة على قصد، وأشهر ذلك مقولة بفون "الاسلوب هو الرجل" ولكن علم الاسلوب باتجاهه الذي كان استجابة لتطور الدراسات اللسانية، فقد جاء على شارل بالي أحد ابرز تلامذة عالم اللغة فرديناند سوسير، وقد خلفه في كرسي علم اللغة العام في جامعة جنيف، إذ يعد المؤسس لعلم الاسلوب، وقد نشر بالي كتابه الاول (بحث في علم الأسلوب الفرنسي)، انتج بعده مجموعة من الابحاث التي كرست علم السلوب، ليقدم تعريفه الأشهر لعلم الاسلوب بأنه " العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر تلك الحساسية" (علم الاسلوب: 15).

وقد أتهم بالي بأنه ينظر الى اللغة من زاوية محددة للأسلوب، أي بعزل الناحية العاطفية عن الناحية العقلية واستقلال كل منهما عن الاخرى، ولكن ذلك الاتهام لم يكن عن واقع، وهو ما أوضحه بالي، إذ دعا الى دراستهما على نحو متبادل والتركيز على ما يحتويه كل تعبير من عناصر ملتزمة، من خلال تحليل يعنى بدراسة المستويات: الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية والدلالية، بحسب ما يبرز كل مستوى منها قيمة تعبيرية في لغة من اللغات. ورأى (سيدلر) بعد بالي ان "الاسلوب هو طابع العمل اللغوي وخاصيته التي يؤديها، وهو أثر عاطفي محدد يحدث في نص ما بوسائل لغوية"، إذ لم يخرج عن حدود اقتران الأداء اللغوي بابرار الاثر العاطفي. وقد كتب (أمدادو الونسو) عام 1924، رابطاً الاسلوب بحاصله الجمالي: "إن الطريقة التي يتكون بها العمل الأدبي في جملته وعناصره التفصيلية هي التي تحدد أنماط المتعة الجمالية، الناجمة عنها" (علم الاسلوب: 75-76).

أما المدرسة النقدية الانجليزية فقد ركزت على اقتران الاسلوب بالفرد، إذ استعرض (موري) في كتابه الذي نشر في أوائل العشرينيات عن مشكلات الاسلوب، ثلاث مفاهيم للأسلوب مع تحقق نواتجها ضمن اطار البعد الفردي للتعبير هي: الخواص الشخصية للفرد في الكتابة الأدبية، أو طريقة عرض الافكار لغوياً، أو امتزاج الجانب الجانبي الشخصي بالمطلق لدى الكاتب العظيم في مشاهدته المكثفة الكبرى بما يجعله محققاً للدلالة العالمية في تعبير شخصي خاص (علم الاسلوب: 79).

ويرى جاكوبسون، من موقع الاشتراك في المنظور اللساني للأسلوب مع بالي، مع اقتران على نحو مفصلي ببحوث الاتصال اللساني، أن الاسلوبية: "بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً وعن سائر أصناف الفنون الانسانية ثانياً" (الاسلوبية والاسلوب: 33)، وبإزاء هيمنة الالسنية على البحث في الأسلوبية، يقلب جون ستاروبسكي تلك المعادلة، إذ يرى في الأسلوبية طاقة تسير الالسنية نحو ممارسات متجددة، وفي ذلك إثبات لاستقلالية الأسلوبية عن الالسنية استقلالاً تاماً (م.ن: 44).

أما (ميكائيل ريفاتير) فيتسع مجال البحث لديه في الاسلوبية ليضارِع من حيث التخصص والاهتمام بالأسلوبية ما أنجزه المؤسس بالي، فينطق في النظر الى الاسلوبية من التعريف بأنها: علم يهدف الى الكشف عن العناصر المميزة التي يستطيع بها المؤلف (المرسل) مراقبة حرية الادراك لدى القارئ المتقبل، ويستطيع بها أيضاً أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والادراك "وينتهي الى اعتبار الاسلوبية

(ألسنية) تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص (م.ن: 45)

وثمة أنماط منهجية ضمن إطار الممارسة النقدية على وفق الأسلوبية ، أبرزها :

- 1- الأسلوبية اللسانية .
 - 2- الأسلوبية النفسية .
 - 3- الأسلوبية الإحصائية .
 - 4- الدائرة الفيلوجية .
 - 5- الأسلوبية الثقافية .
- ويتميز كل نمط بمحددات منهجية، تعنى بالمهيمن من المؤثرات التي يلتمس المحلل والناقد حضورها وتأثيرها في النص .

• يتسع الإيضاح في المحاضرة الحية .